

طيبة ﴿أي: سلامكم بقولكم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» أو «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» إذ تدخلون البيوت، «تحبة من عند الله» أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، «مباركة» لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة والنماء والزيادة، «طيبة» لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، ومحبة وجلب مودة.

لما بين لنا هذه الأحكام الجليلة قال:

﴿كذلك بين الله لكم الآيات﴾ السدالات على أحكامه الشرعية وحكمها، ﴿لعلكم تعقلون﴾ عنه فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والألباب الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد به العقل، وينمو به اللب، لتكون معانيها أجل المعاني، وأدائها أجل الآداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكما استعمل عقله للتعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك.

وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: «أن العرف والعادة مخصص للالفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ». فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء، للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه.

وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتاً للإنسان.

وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المعتاد.

وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو

متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.

﴿٦٢ - ٦٤﴾ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ولوذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * إلا إن الله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينتهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالؤمن بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الخواص التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم شرطين:

أحدهما: أن يكون لشأن من شؤونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.

والثاني: أن يشاء الإذن له فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالأذن، قال:

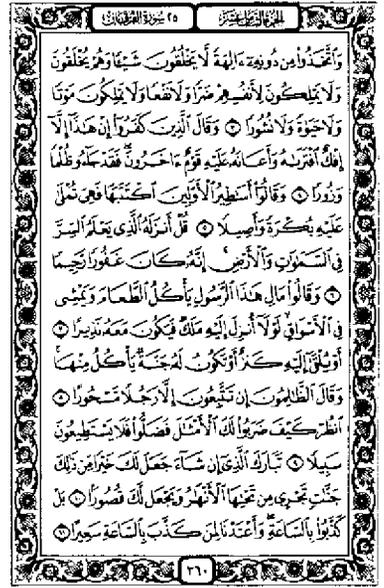
﴿فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ فإذا كان له عذر واستأذن، فإن كان في قعوده وعدم



ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى أن يكون مقصراً في الاستئذان، ولهذا قال: ﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم الذنوب وبرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر.

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعاتكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فإذا دعاكم فاجيبوه وجوباً، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولاً لا يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم بما يحبيكم﴾ وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: «يا محمد» عند نداءكم، أو «يا محمد بن عبد الله» كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتمييزه ﷺ عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله.

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذاً﴾ لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه، توعد من لم



ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: ﴿والله بكل شيء عليم﴾

تفسير سورة الفرقان وهي مكية عند الجمهور

﴿١ - ٢﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً * هذا بيان لعظمته الكاملة، وتفرده [بالوحدانية] ^(١) من كل وجه، وكثرة خيراته وإحسانه، فقال: ﴿تبارك﴾ أي: تعاضم، وكملت أوصافه، وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه، أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية، وفاق جميع المرسلين، ﴿ليكون﴾ ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿للعالمين نذيراً﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه، ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها، كان من الناجين في الدنيا والآخرة، الذين حصلت لهم السعادة الأبدية، والملك السرمدى، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته.

﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ أي: له التصرف فيها وحده، وجميع من فيها عماليك وعبيد له، مذعنون لعظمته، خاضعون لربوبيته، فقرأ إلى رحمة، الذي ﴿لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ وكيف يكون له ولد أو شريك، وهو المالك، وغيره مملوك، وهو القاهر، وغيره مقهور، وهو الغني بذاته من جميع الوجوه، والمخلوقون مفتقرون إليه، فقرأ ذاتياً

من جميع الوجوه!! وكيف يكون له شريك في الملك، ونواصي العباد كلهم بيديه، فلا يتحركون أو يسكنون، ولا يتصرفون إلا بإذنه، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك، ولهذا قال: ﴿وخلق كل شيء﴾ شمل العالم العلوي، والعالم السفلي، من حيواناته، ونباتاته، وجماداته، ﴿فقدره تقديراً﴾ أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به، ويناسبه من الخلق، وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد، لا يناسبه غير عمله الذي هو فيه. قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * وقال تعالى: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ ولما بين كماله وعظمته، وكثرة إحسانه، كان ذلك مقتضياً لأن يكون وحده المحبوب المألوه العظيم، المقدر بالإخلاص وحده، لا شريك له ناسب أن يذكر بطلان عبادة ما سواه، فقال:

﴿٣﴾ ﴿واخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾. أي: من أعجب العجائب، وأدل الدليل على سفههم، ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم، أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة، في كمال العجز، أنها لا تقدر على خلق شيء، بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً، لأنه نكرة في سياق النفي.

﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ أي: بعثاً بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها، وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء

يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: ﴿يتسللون منكم لوأذا﴾ أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: يذهبون إلى بعض شؤونهم عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شؤونه!! وإنما ترك أمر الله من دون شغل له.

﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي: شرك وشر أو يصيبهم عذاب ألم.

﴿ألا إن الله ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بحكمه القدري، وحكمه الشرعي. ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبها عليكم الحفظة الكرام الكاتبون.

﴿ويوم يرجعون إليه﴾ في يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ يخبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخباراً مطابقاً لما وقع منهم، ويستشهد عليهم أعضاؤهم، فلا يعدمون منه فضلاً أو عدلاً.

للخالق لسائر المخلوقات، من غير مشارك له في ذلك، الذي بيديه النفع والضرب، والعطاء والمنع، الذي يجيي ويميت، ويبعث من في القبور، ويجمعهم ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين، دار الشقاء والحزني والنكال، لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والتعظيم المقيم، لمن اتخذه وحده معبوداً.

ولما قرر بالدليل القاطع الواضح صحة التوحيد وبطلان ضده، قرر صحة الرسالة، وبطلان قول من عارضها واعترضها، فقال:

﴿٤-٦﴾ «وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي على عليه بكرة وأصيلاً * قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً *»

أي: وقال الكافرون بالله، الذي أوجب لهم كفرهم، أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب، كذبه محمد، وإفك افتراه على الله، وأعانه على ذلك قوم آخرون.

فرد الله عليهم ذلك، بأن هذا مكابرة منهم، وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد، وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ وكمال صدقه، وأمانته، وبره التام، وأنه لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتيوا بهذا القرآن، الذي هو أجل الكلام وأعلاه، وأنه لم يجمع بأحد يعينه على ذلك، فقد جاؤوا بهذا القول ظلماً وزوراً.

ومن جملة أقاويلهم فيه، أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد «أساطير الأولين اكتتبها» أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم، التي تتلقاها الأفواه، وينقلها كل أحد، استسخها محمد «فهي على عليه بكرة وأصيلاً» وهذا القول منهم فيه عدة عظام:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب، والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن - الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله - بأنه كذب وافتراء.

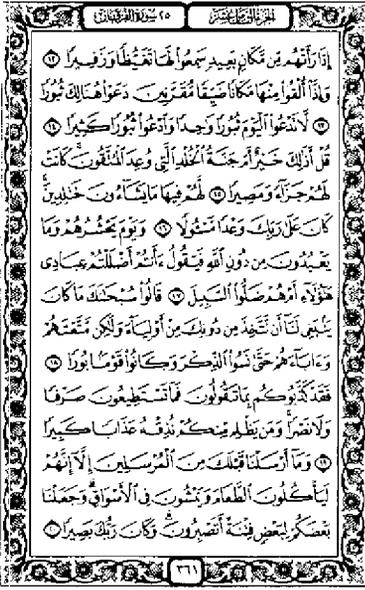
ومنها: أن في ضمن ذلك، أنهم قادرون أن يأتيوا بمثله، وأن بضاهي المخلوق الناقص من كل وجه، للخالق الكامل من كل وجه، بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته، وهم أشد الناس علماً بها، أنه لا يكتب، ولا يجمع بمن يكتب له، وهم قد زعموا ذلك.

فلذلك رد عليهم ذلك بقوله: «قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض» أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة، والجهر والسر، كقوله: «وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين *»

ووجه إقامة الحجة عليهم، أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله، وما هو من عنده، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء، ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم، فلا يمكن أحداً أن ينكر هذا القرآن إلا بعد إنكار علم الله، وهذا لا نقول به طائفة من بني آدم، سوى الفلاسفة الدهرية.

وأيضاً، فإن ذكر علمه تعالى العام، ينههم ويحضهم على تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروا، لرأوا فيه من علمه وأحكامه، ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة، ومع إنكارهم للتوحيد والرسالة من لطف الله بهم، أنه لم يدعهم وظلمهم، بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه، ووعدهم بالمغفرة والرحمة، إن هم تابوا ورجعوا، فقال: «إنه كان غفوراً» أي: وصفه المغفرة، لأهل الجرائم والذنوب، إذا فعلوا أسباب المغفرة،



وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها. «رحيماً» بهم، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، وقد فعلوا مقتضاها، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصي، وحيث عما سلف من سيئاتهم، وحيث قبل حسناتهم، وحيث أعاد الرجوع إليه بعد شروده، والمقبل عليه بعد إعراضه، إلى حالة المطيعين المنيبين إليه.

﴿٧-١٤﴾ «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً * إذا وأنهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً * هذا من مقالة الكاذبين للرسول، التي قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعتراضوا بأنه: هلا كان ملكاً أو ملكاً، أو يساعده ملك، فقالوا: «ما لهذا الرسول» أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ تهكما منهم



مقرنين ﴿ أي: عذابهم، وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان، وتزاحم السكان، وتقربينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان النحس، وحبسوا في أشد حبس ﴿ دعوا هنالك ثبوراً ﴾ دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة، وعلّموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق، حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك السدعاء والاستغاثة بنافعة لهم، ولا مغنية من عذاب الله، بل يقال لهم: ﴿ لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ أي: لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه، ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن.

لما بين جزاء الظالمين، ناسب أن يذكر جزاء التقيين فقال:

﴿ ١٥ - ١٦ ﴾ ﴿ قل أذللك خيراً أم جزاء الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً ﴾ لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً ﴾.

أي: قل لهم - مبنياً لسفاهة رأيهم، واختيارهم الضار على النافع -: ﴿ أذللك ﴾ الذي وصفت لكم من العذاب ﴿ خيراً أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾ التي زادا تقوى الله، فمن قام بالتقوى، فالله قد وعده إياها، ﴿ كانت لهم جزاء ﴾ على تقواهم ﴿ ومصيراً ﴾ موثلاً يرجعون إليها، ويستقرون فيها، ويخلدون دائماً أبداً.

﴿ لهم فيها ما يشاؤون ﴾ أي: يطلبون، وتتعلق بهم أمانيتهم ومشيتهم، من المطاعم، والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والنساء الجميلات، والقصور العاليات، والجنان، والحدائق المرجحنة، والفواكه التي تسر ناظرها وأكلها، من حسناتها وتنوعها، وكثرة أصنافها، والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاؤوا يصرفونها، ويفجرونها أنهاراً من ماء غير آسن، وأنهاراً من لبن لم يتغير طعمه، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، وأنهاراً من عسل مصفى، وروائح طيبة، ومساكن

سحوراً. ﴿ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ قالوا أقوالاً متناقضة، كلها جهل وضلال وسفه، ليس في شيء منها هداية، بل ولا في شيء منها أدنى شبهة تقدر في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها، يجزم العاقل ببطلانها، ويكفيه عن ردها، ولهذا أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها، والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيراً كثيراً في الدنيا فقال: ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ أي: خيراً مما قالوا، ثم فسره بقوله: ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشيته، لا تقصر عن ذلك، ولكنه تعالى - لما كانت الدنيا عنده في غاية البعد والحقارة - أعطى منها أوليائه ورسله، ما اقتضته حكمته منها، واقتراح أعدائهم بأنهم، هلا رزقوا منها رزقاً كثيراً جداً، ظلم وجرأة.

ولما كانت تلك الأقوال التي قالوها معلومة الفساد، أخبر تعالى أنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان، وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً، وتكذيباً بالحق، فقالوا ما بقلوبهم من ذلك، ولهذا قال: ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ والمكذب التعنت، الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته، ولا حيلة في مجادلته، وإنما له حيلة واحدة، وهي نزول العذاب به، فلهمذا قال: ﴿ وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ أي: ناراً عظيمة، قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها، واشتد زفيرها. ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ أي: قبل وصولهم ووصولها إليهم، ﴿ سمعوا لها تغيظاً ﴾ عليهم ﴿ وزفيراً ﴾ تعلق منه الأفتدة، وتتصدع القلوب، ويكاد الواحد منهم يموت خوفاً منها وذعراً، قد غضبت عليهم لغضب خالقها، وقد زاد لهمها لزيادة كفرهم وشركهم.

﴿ وإذا أقوا منها مكاناً ضيقاً

واستهزاء. ﴿ يأكل الطعام ﴾ وهدا من خصائص البشر، فهلا كان ملكاً لا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، ﴿ ويمشي في الأسواق ﴾ للبيع والشراء، وهذا - بزعمهم - لا يليق بمن يكون رسولا، مع أن الله قال: ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾.

﴿ لولا أنزل إليه ملك ﴾ أي: هلا أنزل معه ملك يساعده ويعاونه، ﴿ فيكون معه نذيراً ﴾ وبزعمهم أنه غير كاف للرسالة، ولا بطوقه وقدرته القيام بها.

﴿ أو يلقي إليه كنز ﴾ أي: مال مجموع من غير تعب، ﴿ أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق.

﴿ وقال الظالمون ﴾ حملهم على القول، ظلمهم لا اشتباه منهم، إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ هذا، وقد علموا كمال عقله، وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن. ولما كانت هذه الأقوال منهم، عجيبه جداً، قال تعالى: ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ وهي: أنه هلا كان ملكاً، وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك، لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل عليه كنز، أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق، أو أنه كان

أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم مقتضي، ووجد المانع، فلا تشاء من شر وهلاك، إلا وجدته فيهم، فلما تبرؤوا منهم، قال الله توبيخاً وتقريعاً للعابدين^(١): ﴿فقد كذبوك بما تقولون﴾ إنهم أمروكم بعبادتهم، ورضوا فعلكم، وأنهم شفعاؤكم عند ربكم، كذبكم في ذلك الزعم، وصاروا من أكبر أعدائكم، فحق عليكم العذاب، ﴿فما تستطيعون صرفاً﴾ للعذاب عنكم بفعلكم، أو بقاء، أو غير ذلك، ﴿ولا نصراً﴾ لعجزكم، وعدم ناصركم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين، كما رأيت، أسوأ حكم، وأشر مصير.

وأما المعاند منهم، الذي عرف الحق وصدف عنه، فقال في حقه: ﴿ومن يظلم منكم﴾ بترك الحق ظملاً وعناداً ﴿نذقه عذاباً كبيراً﴾ لا يقادر قدره، ولا يبلغ أمره..

ثم قال تعالى جواباً لقول المكذبين: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ ﴿فما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام، وما جعلناهم ملائكة، فلك فيهم أسوة. وأما الغنى والفقر، فهو فتنة، وحكمة من الله تعالى، كما قال: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ الرسول فتنة للمرسل إليهم، واختبار للمطيعين من المعاصين^(٢)، والرسول فتناهم بدعوة الخلق، والغنى فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار، دار الفتن والابتلاء والاختبار.

والقصد من تلك الفتنة ﴿أنصبرون﴾ فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراضية، فيثيبكم مولاكم^(٣)، أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة؟

﴿وكان ربك بصيراً﴾ يعلم أحوالكم، ويصطفى من يعلمه يصلح

السبيل﴾ هل أمرتوهم بعبادتكم، وزينت لهم ذلك، أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟

﴿قالوا سبحانه﴾ نزهوا الله عن شرك المشركين به، وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي: لا يليق بنا، ولا يحسن منا، أن نتخذ من دونك من أولياء نتولاهم، ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك، متبرئين من عبادة غيرك، فكيف نأمر أحداً بعبادتنا؟ هذا لا يكون. أو، سبحانه عن أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ وهذا كقول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ فلما نزهوا أنفسهم، أن يدعوا العبادة غير الله، أو يكونوا أضلوهم، ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في لذات الدنيا وشهواتها، ومطالبها النفسية، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ اشتغالاً في لذات الدنيا، واكباباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم، وضيعوا دينهم ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ أي: بائسين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى، وهو التمتع في الدنيا، الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضي للهدى، وهو:

مزخرفة، وأصوات شجية، تأخذ من حسنها بالقلوب، ومزاورة الإخوان، والتمتع ببقاء الأحياب، وأعلى من ذلك كله، التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم، وسماع كلامه، والحظوة بقربه، والسعادة برضاه، والأمن من سخطه، واستمرار هذا النعيم ودوامه، وزيادته على عمر الأوقات، وتعاقب الأتات ﴿كان﴾ دخولها والوصول إليها ﴿على ربك وعداً مسؤولاً﴾ يسأله إياها، عبادة المتقون بلسان حالهم، ولسان مقالهم، فأبي: الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأبي: العاملين، عمال دار الشقاء، أو عمال دار السعادة، أولى بالفضل والعقل والفخر، يا أولى الألباب؟

لقد وضع الحق، واستثار السبيل، فلم يبق للمفطر عذر في تركه الدليل، فترجوك يا من قضيت على أقوام بالشقاء، وأقوام بالسعادة، أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء، ونسألك المغافاة منها.

﴿١٧ - ٢٠﴾ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً﴾ فقد كذبوك بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً﴾ يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة، وتبريهم منهم، وبطلان سعيهم، فقال: ﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: المكذبين المشركين ﴿وما يعبدون من دون الله فيقول﴾ الله مخاطباً للمعبودين على وجه التقرير لمن عبدتهم: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا

(٣) كذا في ب، وفي أ: مولاكم.

(٢) كذا في ب، وفي أ: المعاصي.

(١) في ب: للمعاندين.

منه شيء، لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ خَيْرَ مَا يَشْرِكُونَ﴾.

﴿٢٥- ٢٩﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءَ بِالْغَمَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً * ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴿يُخَيِّرُ تَعَالَى عَنْ عِظْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ وَالْكَرُوبِ، وَمِزْعَجَاتِ الْقُلُوبِ فَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءَ بِالْغَمَامِ﴾ وَذَلِكَ الْغَمَامُ الَّذِي يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ، يَنْزِلُ مِنَ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ، فَتَنْفَطِرُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَتَشْقَى، وَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّ سَمَاءٍ يَفْقِفُونَ صَفَاً صَفَاً، إِمَا صَفَاً وَاحِداً مَحِيطاً بِالْخَلَائِقِ، وَإِمَا كُلَّ سَمَاءٍ يَكُونُونَ صَفَاً، ثُمَّ السَّمَاءُ الَّتِي تَلِيهَا صَفَاً، وَهَكَذَا.

القصد أن الملائكة - على كثرتهم وقوتهم - ينزلون محيطين بالخلق، مدعنين لأمر ربهم، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف، خصوصاً الذي بارز مالكه بالعظائم، وأقدم على مسأخطه، ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجور، ولا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لصعوبته الشديدة، وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن، فإنه يسير عليه، خفيف الحمل.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ * ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴿.

وقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يبقى لأحد من المخلوقين، مُلْكٌ ولا صورة مُلْكٍ، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم، والأحرار والعبيد، والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس، وينشرح له

الموت، إذا تنزلت عليهم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. ثم في القبر، حين يأتيهم منكر ونكير، فيألهم عن ربهم ونبئهم ودينهم، فلا يجيبون جواباً ينجيهم، فيحلون بهم النقمة، وتنزل عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة، حين تسوقهم الملائكة إلى النار، ثم يسلمونهم لخزنة جهنم، الذين يتولون عذابهم، ويباشرون عقابهم، فهذا الذي اقترحوه، وهذا الذي طلبوه، إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه، وحينئذ يتعدون من الملائكة، ويفرون، ولكن لا مفر لهم.

﴿وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيراً وتعبوا فيها، ﴿فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءَ مَثُورًا﴾ أي: باطلاً مضمحلاً، قد خسروه وحرموا أجره، وعوقبوا عليه، وذلك لفقده الإيمان، وصدوره عن مكذب الله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص، المصدق للرسول، المتبع لهم فيه.

﴿٢٤﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: في ذلك اليوم الهائل، كثير البلبال ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الذين آمنوا بالله، وعملوا صالحاً، واتفقوا ربهم ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من أهل النار ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: مستقرهم في الجنة، وراحتهم التي هي القيلولة، هو المستقر النافع، والراحة التامة، لاشتغال ذلك على تمام النعيم، الذي لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار، فإن جهنم ساءت مستقراً ومقيلاً وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر

لرسالته، ويختصه بتفضيله، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٢١- ٢٣﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً * وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴿أَي: قَالَ الْمَكْذُوبُونَ لِلرَّسُولِ، الْمَكْذُوبُونَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ، الَّذِينَ لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ خَوْفُ الْوَعِيدِ، وَلَا رَجَاءُ لِقَاءِ الْخَالِقِ.

﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ أي: هلا نزلت الملائكة، تشهد لك بالرسالة، وتؤيدك عليها، أو تنزل رسلاً مستقلين، أو نرى ربنا فيكلما، ويقول: هذا رسولي فاتبعوه؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض، بل بالتكبر والعلو والعتو.

﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وتجروؤوا هذه الجراءة، فمن أنتم يا فقراء، وما مساكين، حتى تطلبوا رؤية الله، وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ وأي: كبر أعظم من هذا؟.

﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار، وأصلب من الحديد، لا تلين للحق، ولا تصغي للتناصحين، فلذلك لم يتنجح فيهم وعظ ولا تذكير، ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم، وآيات الله البينات، بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأى: عتو أكبر من هذا العتو؟! ولذلك، بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرموا غاية الحرمان.

﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ﴾ التي اقترحوا نزولها ﴿لَا بَشَرِي يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وذلك أنهم لا يرونها، مع استمرارهم على جرهم وعتادهم، إلا لعقوبتهم، وحلول البأس بهم، فأول ذلك عند



أنفسهم، فقالوا: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي: عذوره من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كذلك﴾ أنزلناه متفرقاً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن، ازداد طمأنينة وثباتاً، وخصوصاً عند ورود أسباب القلق، فإن نزول القرآن عند حدوثه، يكون له موقع عظيم، وتثبيت كثير، أبلغ مما لو كان نازلاً قبيل ذلك، ثم تذكره عند حلول سببه.

﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ أي: مهلناه، ودرجناك فيه تدريجاً. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن، وبرسوله محمد ﷺ، حيث جعل إنزال كتابه جازياً على أحوال الرسول ومصالحه الدينية، ولهذا قال: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ يعارضون به الحق، ويدفعون به رسالتك، ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أي: أنزلنا عليك قرآناً جامعاً للتحق في معانيه، والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً، وأحسن تفسيراً، مبين للمعاني بياناً كاملاً.

وفي هذه الآية، دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم، من محدث،

أشركتمون من قبل﴾ الآية. فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان، ولينتدرك الممكن قبل أن لا يمكن، ولينوال من ولايته فيها سعادته، ويعادي من تنفعه عداوته، وتضره صداقته. والله الموفق.

﴿٣٠-٣١﴾ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً * وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴿وقال الرسول﴾ منادياً لربه، وشاكياً عليه إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفاً على ذلك منهم: ﴿يا رب إن قومي﴾ الذين أرسلتني لهديتهم وتبليغهم، ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي: قد أعرضوا عنه، وهجروه، وتركوه، مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه، والإقبال على أحكامه، والمشى خلفه، قال الله مسلماً لرسوله، ومخبراً، أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم، فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي: من الذين لا يصلحون للخير، ولا يزكون عليه، يعارضونهم ويردون عليهم، ويمجادونهم بالباطل.

من بعض فوائد ذلك، أن يعلو الحق على الباطل، وأن يتبين الحق، ويتضح اتضاحاً عظيماً، لأن معارضة الباطل للتحق، مما تزيده وضوحاً وبياناً وكمال استدلال، وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة، وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وكفى بربك هادياً﴾ يهديك، فيحصل لك المطلوب، ومصالح دينك ودنياك. ﴿ونصيراً﴾ ينصرك على أعدائك، ويدفع عنك كل مكروه، في أمر الدين والدنيا، فاكْتَفِ به، وتوكل عليه.

﴿٣٢-٣٣﴾ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ هذا من جملة مقترحات الكفار، الذي توحيه إليهم

الصدر، أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه ﴿الرحمن﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمت كل حي، وملاّت الكائنات، وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص، وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا آدمي الضعيف وشرفه وكرمه، لينم عليه نعمته، ولينغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه، ينتظرون ما يحكم فيهم، وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة، وحققت عليه كلمة العذاب.

﴿ويوم يعض الظالم﴾ بشركه وكفره، وتكذيبه للرسول ﴿على يديه﴾ تأسفاً، وتحسراً، وحزناً، وأسفاً. ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي: طريقاً بالإيمان به، وتصديقه واتباعه.

﴿يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً﴾ وهو الشيطان الإنسي أو الجنى، ﴿خليلاً﴾ أي: حبيباً مصافياً، عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي، وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدولي، الذي لم تقمدي ولايته، إلا الشقاء والخسار والخزي والبوار. ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ حيث زين له ما هو عليه من الضلال، بخدعه وتسويله. ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ يزين له الباطل، ويقبح له الحق، ويعده الأمانى، ثم يتخلل عنه، ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه، حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق، ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما

أضل سبيلاً ﴿٣٥﴾ أي: وإذا رآك يا محمد، هؤلاء المكذبون لك، المعاندون لآيات [الله] ^(١)، المستكبرون في الأرض، استهزؤوا بك واحتقروك، وقالوا - على وجه الاحتقار والاستصغار -: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ أي: غير مناسب ولا لائق، أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم، وقلوبهم الحقائق، فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول - حاشاه - في غاية الخسة والحقارة، وأنه لو كانت الرسالة لغيره، لكان أنسب.

﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ فهذا الكلام، لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلمهم، أو من أعظمهم عناداً، وهو متجاهل، قصده ترويح ما معه من الباطل بالقدح بالحق وبين جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله ﷺ، وجدده رجل العالم وهمامهم، ومقدمهم في العقل، والعلم، واللب، والبراعة، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، والعفة، والشجاعة، والكرم، وكل خلق فاضل، وأن المحقر له، والثاني له، قد جمع من السفه والجهل، والضلال، والتناقض، والظلم، والعدوان، ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلاً وضلالاً، أن يقدح بهذا الرسول العظيم، والهمام الكريم.

والقصود من قدحهم فيه واستهزائهم به، تصليبهم على باطلهم، وغروراً لضعفاء العقول ^(٢)، ولهذا قالوا: ﴿إن كاد﴾ هذا الرجل ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ بأن يجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ لأضلنا، زعموا - قبحهم الله - أن الضلال هو التوحيد، وأن الهدى ما هم عليه من الشرك، فلماذا تواصوا بالصبر عليه. ﴿وانطلق الملا منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتكم﴾.

وهنا قالوا: ﴿لولا أن صبرنا

الدينيا إلى الصراط المستقيم، وفي الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم.

﴿٣٥ - ٤٠﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴿٣٥﴾ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً ﴿٣٦﴾ وعاداً وثمود وأصحاب الرُّس وقروناً بين ذلك كثيراً ﴿٣٧﴾ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنبيراً ﴿٣٨﴾ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً ﴿٣٩﴾ أشار تعالى إلى هذه القصص، وقد بسطها في آيات أخر، ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم، فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم، ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم.

ومنهم من يرون آثارهم عياناً، كقوم صالح في الجحجر، والقرية التي أمطرت مطر السوء، بحجارة من سجيل، يمرون عليهم مصبحين، وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شراً منهم، ورسولهم ليسوا خيراً من رسول هؤلاء ﴿أفأنت خير من أولئك أم لكم براءة في الزبير﴾ ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان - مع ما شاهدوا من الآيات - أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، فلا يرجون لقاء ربهم، ولا يخشون نكاله، فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات، ما لا يبقى معه شك ولا شبهة، ولا إشكال، ولا ارتياب.

﴿٤١ - ٤٤﴾ ﴿وإذا رآوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ﴿٤١﴾ رأيت من اتخذ إليه هواه أفأنت تكون عليه وكليلاً ﴿٤٢﴾ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم

أنتحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴿٤٣﴾ أوتيتك آياتك بالبينات ولو كنا لك غير أولئك ﴿٤٤﴾ ولقد آتينا إبراهيم آياتنا وفضلنا عليه ﴿٤٥﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴿٤٦﴾ ولقد آتينا داود الكتاب والفرقان ﴿٤٧﴾ ولقد آتينا سليمان الكتاب والفرقان ﴿٤٨﴾ ولقد آتينا نوحاً الكتاب والفرقان ﴿٤٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٠﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥١﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٢﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٣﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٤﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٥﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٦﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٧﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٨﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٥٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٠﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦١﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٢﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٣﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٤﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٥﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٦﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٧﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٨﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٦٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٠﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧١﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٢﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٣﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٤﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٥﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٦﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٧﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٨﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٧٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٠﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨١﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٢﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٣﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٤﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٥﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٦﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٧﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٨﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٨٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٠﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩١﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٢﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٣﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٤﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٥﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٦﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٧﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٨﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿٩٩﴾ ولقد آتينا عيسى الكتاب والفرقان ﴿١٠٠﴾

ومعلم، وواعظ، أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم، يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب، أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمواظف الموافقة لذلك.

وفيه رد على المتكلمين، من الجهمية ونحوهم، ممن يرى أن كثيراً من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها، ولها معان غير ما يفهم منها، فإذا - على قولهم - لا يكون القرآن أحسن تفسيراً من غيره، وإنما التفسير الأحسن - على زعمهم - تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً.

﴿٣٤﴾ ﴿الذين يبشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾ يخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله، وسوء مآلهم، وأنهم يبشرون على وجوههم ﴿أشنع مرأى، وأفظع منظر، تسحيهم ملائكة العذاب ويجرونهم إلى جهنم﴾ الجامعة لكل عذاب وعقوبة. ﴿وأولئك الذين بهذه الحالة شر مكاناً﴾ ممن آمن بالله وصدق رسله، ﴿وأضل سبيلاً﴾ وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن المؤمنين حسن مكانهم ومستقرهم، واهدوا في

(١) زيادة مني يقتضيا السياق.

(٢) المراد: (وتغريراً بضعفاء العقول).

عليها ﴿ والصبر يحمد في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع، فإنه صبر على أسباب الغضب، وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون، فهم كما قال الله عنهم: ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾. ولما كان هذا حكماً منهم، بأنهم المهتدون والرسول ضال، وقد تقرر أنهم لا حيلة فيهم، توعدهم بالعذاب، وأخبر أنهم في ذلك الوقت حين يرون العذاب يعلمون علماً حقيقياً ﴿ من ﴾ هو ﴿ أضل سبيلاً ﴾ ﴿ ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ الآيات .

وهل فوق ضلال من جعل إلهه معبوده [هواه] ^(١)، فما هويه فعله، فلماذا قال: ﴿ أرايت من اتخذ إلهه هواه ﴾ ألا تعجب من حاله، وتظن ما هو فيه من الضلال؟ وهو يحكم نفسه بالمنازل الرفيعة؟

﴿ أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ أي: لست عليه بمسيطر مسلط، بل إنما أنت منذر، وقد قست بوظيفتك، وحسابه على الله .

ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ، بأن سلبهم العقول والأسماع، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة، التي لا تسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، بل هم أضل من الأنعام، لأن الأنعام يهديها راعيها فتهتدي، وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه، وهي أيضاً أسلم عاقبة من هؤلاء، فتبين بهذا، أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف، وأن كل حيوان يهيم فهو أهدى منه .

﴿ ٤٥ - ٤٦ ﴾ ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ أي: ألم تشاهد يبصرك وبصيرتك، كمال قدرة ربك، وسعة رحمته، أنه مد على العباد الظل، وذلك قبل طلوع الشمس ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه ﴾ أي: على الظل

﴿ دليلاً ﴾ فلولاً وجود الشمس، لما عرف الظل، فإن الضد يعرف بضده . ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴿ فكلمنا ارتفعت الشمس، تقلص الظل شيئاً فشيئاً، حتى يذهب بالكلية، فتوالي الظل والشمس على الخلق، الذي يشاهدونه عياناً، وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وتعاقب الفصول، وحصول المصالح الكثيرة بسبب ذلك من أدل دليل على كمال قدرة الله وعظمته، وكمال رحمته وعنايته بعباده، وأنه وحده المعبود المحمود، المحبوب العظيم، ذو الجلال والإكرام .

﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً ﴾ أي: من رحمته بكم ولطفه، أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه، وتهذبوا بالنوم، وتسبت حركاتكم، أي: تنقطع عند النوم، فلولاً الليل، لما سكن العباد، ولا استمروا في تصرفهم، فضرهم ذلك غاية الضرر، ولو استمر أيضاً الظلام، لتعطلت عليهم معاشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشوراً أي: ينشرون فيه، لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم، فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح .

﴿ ٤٨ - ٥٠ ﴾ ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾ لنحیی به بلدة ميتاً ونسقيهم ما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ﴾ ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ أي: هو وحده الذي رحم عباده، وأدر عليهم رزقه، بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، وهو: المطر، فثار بها السحاب وتآلف، وصار كسفاً، وألححته، وأدرته بإذن أمرها والمتصرف فيها، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله، وليستعدوا له قبل أن يفاجنهم دفعة واحدة .

﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾

﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ ﴿ قل ما أنزلكم عليه من أنباء إلا من عند ربكم سبيلاً ﴾ ﴿ وتوكل على الذي لا يؤمن ويستنجي بجموده وآقاؤه بذنوبه سبيلاً ﴾ ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش فاستل ذلك يوم حشر ﴾ ﴿ قال الذين لهم أنباء وأولئك ما قالوا وما الرحمن أنسجلاً ثامناً وما زادهم فهو كورا ﴾ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء رجلاً ممدوداً وما يسرهما وما يسرنا كثيراً ﴾ ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار حجاباً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ ﴿ وما أنزلنا من السماء ماء طهوراً ما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ﴾ ﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً والذين يقولون ربنا اصرف عنا عقابك حشرنا إن عبدنا كما كان عبادنا ﴾ ﴿ وما ساءت مشيئنا وما كنا لأنفسنا ألقفاً ﴾ ﴿ ولقد أنزلنا من السماء ماء طهوراً وما كنا لأنفسنا ألقفاً ﴾ ﴿ وما أنزلنا من السماء ماء طهوراً ما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ﴾

يطهر من الحدث والخبث، ويطهر من الغش والأناس، وفيه بركة من بركته، أنه أنزله ليحیی به بلدة ميتاً، فتختلف أصناف النواتب والأشجار فيها، مما يأكل الناس والأنعام . ﴿ ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً ﴾ أي: نسقيكموه، أنتم وأنعامكم، أنيس الذي أرسل الرياح المبشرات، وجعلها في عملها متنوعة، وأنزل من السماء ماء طهوراً مباركاً، فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك معه غيره؟

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانة المشاهدة، وصرفها للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه، مع ذلك أبى أكثر الخلق إلا كفوراً، لفساد أخلاقهم وطبائهم .

﴿ ٥١ - ٥٢ ﴾ ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ﴾ ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ يخبر تعالى عن نفوذ مشيئته، وأنه لو شاء لبعث في كل قرية نذيراً، أي: رسولاً ينذرهم ويحذرهم، فمشيئته غير قاصرة عن ذلك، ولكن اقتضت حكمته ورحمته بك وبالعباد - يا محمد - أن أرسلك إلى جميعهم، أحرهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ في ترك شيء مما أرسلت

(١) زيادة مني يقتضيها السياق مع العلم أن كلمة هواه كتبت في ب بدلاً عن معبوده ثم شطبت .

الحق، وعبادة غيره باطلة، لقوله:

﴿٥٥﴾ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: يعبدون أصناماً وأمواتاً، لا تضر ولا تنفع، ويعملونها أنشاداً لمالك النفع والضرر والعطاء والمنع، مع أن الواجب عليهم، أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربه، ذابنين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ فالباطل الذي هو الأوثان والأنداد، أعداء الله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربه، وصار عدواً لربه، مبارزاً له في العداوة والحرب، هذا، وهو الذي خلقه ورزقه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته، والله لم يقطع عنه إحسانه وبره، وهو - بجهله - مستمر على هذه المعادة والمبارزة.

﴿٥٦ - ٦٠﴾ ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ * قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً * وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً * الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً * وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾ * يخبر تعالى: أنه ما أرسل رسوله محمداً ﷺ، مسيطراً على الخلق، ولا جعله ملكاً، ولا عتده خزائن الأشياء، وإنما أرسله ﴿مبشراً﴾ يبشر من أطاع الله، بالثواب العاجل والآجل ﴿ونذيراً﴾ ينذر من عصى الله، بالعقاب العاجل والآجل، وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة، وما تحصل به السندارة، من الأوامر والنواهي، وإنك - يا محمد - لا تسألهم على إبلاغهم القرآن والهدى أجر، حتى يمنعمهم ذلك من اتباعك، ويتكلفون من الغرامة. ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي: إلا من شاء، أن ينفق نفقة في مرضاة ربه وسيله، فهذا وإن رغبتكم فيه، فلست

أجبركم عليه، وليس أيضاً أجرألي عليكم، وإنما هو راجع لمصلحتكم، وسلوكم للسبيل الموصلة إلى ربكم، ثم أمره أن يتوكل عليه ويستعين به، فقال: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت الحياة الكاملة المطلقة﴾ الذي لا يموت وسبح بحمده﴾ أي: اعبدوه وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق. ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ يعلمها، ويجازي عليها، فانت ليس عليك من هداهم شيء، وليس عليك حفظ أعمالهم، وإنما ذلك كله، بيد الله ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى﴾ بعد ذلك ﴿على العرش﴾ الذي هو سقف المخلوقات، وأعلاها، وأوسعها، وأجلها. ﴿الرحمن﴾ استوى على عرشه، الذي وسع السماوات والأرض باسمه الرحمن، الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات. فاثبت بهذه الآية، خلقه للمخلوقات، وإطلاعهم على ظاهرهم وباطنهم، وعلوه فوق العرش، ومبايسته إياهم.

﴿فاسأل به خبيراً﴾ يعني بذلك نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد أخبركم بذلك، وأبان لكم من عظمته، ما تسعدون به من معرفته، فعرفه العارفون، وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون، واستكفوا عن ذلك، ولهذا قال: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ أي: وحده، الذي أنعم عليكم بسائر النعم، ودفع عنكم جميع النقم. ﴿قالوا﴾ جحداً وكفراً: ﴿وما الرحمن﴾ بزعمهم الفاسد، أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول، أن قالوا: ينهانا عن اتخاذ ألوهة مع الله، وهو يدعو معه إليها آخر، يقول: ﴿يا رحمن﴾ ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فأسماؤه تعال كثيرة، لكثرة أوصافه، وتعدد كماله،



به، بل ابدل جهدك في تبليغ ما أرسلت به. ﴿وجاهدهم﴾ بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي: لا تبتغ من مجهودك في نصر الحق وفتح الباطل، إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجرأة ما رأيت، فابذل جهدك، واستفرغ وسعك، ولا تياس من هدايتهم، ولا تشرك إبلاغهم لأهوائهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وهو الذي مرج البحرين جعل عذب فترات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان، البحر العذب، وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض، والبحر الملح، وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي: حاجزاً يميز من اختلاط أحدهما بالآخر، فتذهب المنفعة المقصودة منهما ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي: حاجزاً حصيناً.

﴿٥٤﴾ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ أي: وهو الله وحده لا شريك له، الذي خلق الأدمي، من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة، وجعلهم أنساباً وأصهاراً، متفرقين ومجتمعين، والمادة كلها من ذلك الماء المهين، فهذا يدل على كمال اقتداره، لقوله: ﴿وكان ربك قديراً﴾ ويدل على أن عبادته هي